وحلول الكمد • وكسوف البال • وتغير الحال • وترادف الزفرات • وتتابع
العبرات • واضطراب القلب • واضطرام الصدر • والتهاب الصبر • بوصفين
أحدهما أنها لفرط انصبابها • وتلاحق تسكابها • صارت حجابا مانعا •
وسترا حائلا بينه وبين ما هو بمرأى منه ومسمع منه فبهذا الاعتبار صح الحكم
عليها بأنها فرقت بين محاجرها التي كان منها ومحاجر المحبوبة التي كادت ينظر
إليها وهذا وصف ممكن والثاني أن عبراته اتصفت بلونين متقابلين
وذلك أنه لفرط بكائه وحزنه وغيابه في تلك الحالة الطويلة التي تجرح العقل
وتسجم • وتقطع اللب وتعتوره • وتغلب القلب وتبهره • فاضت عبراته تارة
دما أحمر يشبه الشقائق في لونها وهذا قريب من الإمكان عادة لأن عادة
البكاء إنما هي من فضول تصعدت إلى الدماغ من الرطوبات المنفصلة عن هذه
الجسم وليس في لونها زرقة ولكن هذا من المبالغات الشعرية التي لا تنحط في
سلك التحقيق لكنها مقبولة عندهم بل كلما زاد الشاعر في ادعاء غير الممكن كان
الشعر مستحسنا حتى قيل لو صدق الشعر لما استحسن غير أن هذا وإن كان
بعيدا عن الإمكان يقربه أن حالة التوديع توجب تغيرا في صحة الوجه
بحيث يرى أن فيه زرقة فإذا فاضت عليه العبرات تلونت بلونه لكونه
جوهرا شفافا فيتلون بلون إنائه وهكذا لم مسائر بمقاصد الشعراء
وتخيلات البلغاء خصوصا والدمع قد تعاطوا فيه حتى أخرجوه عن حد
دائرة الإمكان إلى أوسع مكان ألا ترى إلى ما تخيله بعض الشعراء في
وصفه بالزرقة حيث قال مخبرا عن محبوبته

قالت وقد نظرت لزرقة أدمعي • أكذا يكون بكا الصب الشيق
فأجبتها أن مات من جفني الكرى • فجرت دموعي في الحداد الأزرق

إذا تقرر هذا ظهر لك صحة الحكم على عبراته بأنها جمعت بين البنفسج
وهو الدمع الموصوف بما ذكر والشقائق وهو الدمع الدائم استحال دما فأشبه
الشقائق في لونها من غير نظر إلى عبرات المحبوبة التي لم يكن في سياق الأبيات
ما يدل على أنها كانت مكحولة كما اعترف هو به وتكلف أجوابا لا يسمن ولا
يغني من جوع على أن الدمع المشرب بالكحل لا يحسن أن يشبه بالبنفسج كما
هو ظاهر فإن البنفسج إنما هو يشبه بصفا فيه زرقة لا سواد وهذا
وجه جميل لمن اللطافة ما ترى وإن تأملت ذا تابعا النظر يوشك أن
يلوح لك وجه آخر

تاج العارفين بن عبد العال

تاج مفرق مصر • وغرة جبين مصر • من بيت علم منشم الغمائم
ثم تعمم العالم من مبدأ تتوجوا بالعمائم • وقد نبغ هو كما تم معاليه
وازدانت به أيامه ولياليه • مهابته تقدم لحظته • وبراعته تتقدم
لفظته • ولطفا ملئ به جسمه • وصفا تمام به وسعه • فمنا قبلته

عزر

عزر على وجه الأيام تسبيل • وشرفه لا يلحقه السابق ولا الرسيل • والشعر
وإنشاؤه رأينا له • وفي مدارج اللطافة إلى فلك القبول رقى وبان
وقد جئتك منهما بما تشتم منه نفحات ينسي الشوش الملول • وتنفح
منه نفحات به يلك تزرى الرياض أطلول • فمن ذلك ما كتبه
إلى عبد الرحمن المرشدي مفتي مكة

أذكرت ربعا من أميمة أقفرا • فأسلت دمعا ذا اشتعال أحمرا
أم شاقك الغادون عنك بسحرة • لما سروا وتيمموا أم القرى
زموا المطي واعتقلوا في سيرهم • بعد دمعي خلفهم ما كان جرى
ما قطعت السير احتماله لهم • إلا ودمعي في الركاب تقطرا
فكأن ظهر البسيط صحيفة • وقطارها فيها تحاكي الأسطرا
وكأنها هوادج قد رفعت • سفن ودمع الصب يحكي الأنهرا
رحلوا وما عادوا على مضنا لهم • وأنا الخلي كيف كنت متحيرا
إن كان جسمي في الديار مخلفا • فالقلب منهم حيث قالوا هجرا
أظهرت صبري عنهم متجلدا • وكتمت وجدي فيهم متسترا
وقفا العذول يقول لي من بعدهم • باد بقولك صبرت أم لم تصبرا
أقسمت أن جاد الزمان بمطلبي • وسلكت ربعا بالمناسك عمرا
وشهدت من زال الحجى بعيد أقوله • قد لاح من أفق السعادة قمرا
أدنيت خدمته سيد مسند غدا • مفتي الأنام ورأس بين الورى

وكتب إليه أيضا

ملكت سورة الرحيل عناني • وأهاجت سواكن الأشجان
أغنى أسري وهات بملك الأسـ • ـر طريح النوى أسير التداني
يا خليلي وقفا بالمصلى • نجد حمد السرى ودرك الأماني
فاعطفا وأقرآه مني سلامي • لوحيد العلى فريد المعاني
إنما أنا من لوعتي علم الله • وشوقي له بطول الزمان
أين مني الخلي من ذات طوق • سلبتها النوى غصون البان
لو تطيق الباق شوقي لما حنـ • ـت خفوقا من شجاها أحناني
ويقلبي من الوجيب إليه • مثل ما بالنياق من ذملان
فرعيش الصبي وحي التصابي • وليالي الرضى وأنس التداني
أن قصدي لقاك لكن فؤادي • بين يأس لكن بما يريدان

فأجابه بقوله

يا خليلي بالصفا أسعداني • وبوصل من أجله ساعداني
راحلا بعض ما لاقى وربنا • حال صب فيه القلب عاني
جسمه في حجاز والقلب منه • في قرى مصر دائم الخفقان
لم يزل مشفقا ولو عاد يوما • شاخص الطرف ساهر الأجفان
يرقب النجم ليلة وإذا أصبـ • ـح أضحى يناشد الركبان

Copyright © King Saud University